أمُر برجليَّ فقط

لما أراد موسى النبي العبور في أرض سيحون ملك حشبون أرسل له رسلاً بكلام سلام قائلاً: "أمُر في أرضك. أسلك الطريق الطريق. لا أميل يميناً ولا شمالاً. طعاماً بالفضة تبيعني لآكل وماءً بالفضة تعطيني لأشرب. أمُر برجليَّ فقط" (تث٢:٢٧:٢٨). والحقيقة أن تلك الكلمات البسيطة المركزة تلخص ببراعة المنهج الخماسي الذي ينبغي على كل مسيحي حقيقي، بل وعلى الكنيسة أيضاً، أن يتبعه بينما هو يعبر في هذا العالم كغريب. وسيحون ملك حشبون يمثل الشرير الذي وُضِع العالم كله فيه. ورسالة موسى تلك إلى سيحون ينبغي أن تكون الرسالة التي ترسلها كل نفس أمينة في جهادها إلى عدو الخير كل صباح. وبالطبع لا تلاقي هذه الرسالة استحسان العدو ولكنها تبقى في كل يوم كرسالة تذكرة تبقي على النفس يقظة في كل حين ومدركة تمام الإدراك أنها ليست من هذا العالم لكنها عابرة فيها.

١) **أمر في أرضك:** تحمل وعياً واعترافاً حقيقياً أن الأرض هي ملك للعدو وأن إنسان الله لا يمتلك فيها شيئاً وأن عمله الوحيد فيها هو المرور والعبور.

٢) **أسلك الطريق الطريق:** لا يوجد للنفس المجاهدة والكنيسة ككل سوى طريق واحد تسلكه لكي تكمل زمان غربتها على الأرض وهو يسوع الذي هو الطريق والحق والحياة. وتكرار كلمة الطريق مرتين هنا للتأكيد.

٣) **لا أميل يميناً ولا شمالاً:** أي لا يحيد لا فكري ولا قلبي ولا نظري عن الطريق الذي هو يسوع. لا في ضربات يمينية تتسبب فيها الذات ولا في ضربات شمالية تنتج عن التراخي والتهاون والاستهتار.

٤) **طعاماً بالفضة تبيعني لآكل وماءً بالفضة تعطيني لأشرب:** أي أن النفس المجاهدة لا تقبل أية عطية من عطايا العالم التي تبدو كعطايا مجانية لكنها في النهاية تسبي المرء وتبقي عليه عطشاناً لكي يشرب من مائه أيضاً.

إنسان الله إذ يضطر إلى استعمال العالم إلا أنه يفعل ذلك في أضيق الحدود من أجل سد إحتياجات رئيسية جداً. فموسى لم يقل لسيحون سوف نشتري بيوتاً وحقولاً ومقتنيات وملابس فاخرة ونساءً بل طعاماً وماءً. فالقاعدة الروحية الثابتة دائماً هي: "الذين يشترون كأنهم لا يملكون. والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه " (١كو٧: ٣٠-٣١).

٥) **أمُر برجلي فقط:** أي أمُر في هذا العالم لا بقلبي ولا بعقلي بل برجلي فقط. وهنا ينطبق على تلك النفس المجاهدة وعلى الكنيسة قول الرب: "الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله" (يو١٣:١٠).

هذا المنهج ببنوده الخمسة هو عينه المنهج الذي اتبعه السيد المسيح في التجربة على الجبل حيث رفض كل عروض عدو الخير من شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة. وهو بعينه المنهج الذي اتبعه إبراهيم الذي: "بالإيمان تغرب في أرض الموعد كأنها غريبة ساكناً في خيام مع اسحق ويعقوب" (عب١١:٩). فيا ليت كل نفس، وليس الرهبان والنساك فقط، تجاهد لكي تسكن في خيام واضعة على باب خيمتها شعاراً واضحاً للجميع: "أمُر برجليَّ فقط".